التّناسُقُ والتَّناسُبُ الصّوتي في سُوْرَةِ "الزّلزَلَةِ" المُبَارَكَةِ

المدرس الدكتور
تغريد عبد فلحي كظوم
جامعة الكوفة ـ كلية التربية الأساسية
Taghreeda.kaduom@uokufa.edu.iq

Phonological Harmony and Cohesion in the Sura of al-Zalzalah

Lect. Dr.
Taghreed Abd-falhee Al-Khalidi
Faculty of Basic Education- University of Kufa

الملخص:

شكّل القرآن الكريم نقطة مفصلية في تطور استعمال اللغة العربية وكشف طاقاتها اللامتناهية، وقد تمكن هذا النّص العظيم من إيصال المعاني الغيبية والعقدية بلغة فائقة الجمال ورائعة الأصوات بشكل فهمها العربي الأول الذي عاصر نزول النّص ببيئته الصحراوية وثقافته البسيطة، وما زالت هذه المعاني والدلالات الغيبية تمتلك بريقا صافيا ووضوحا شديدا في العصور كلها إلى أن تناهت إلى عصرنا الحاضر بثورته العلمية، فثبات النّص وقِدمه لم يمنعه من شدة تألقه في إيصال تلك المشاهد الغيبيَّة شديدة التعقيد إلى الإنسان في العصور كلها، ولاشك أن نصا يمتلك هذه المرونة كلها في إيصال المعنى المراد منه في بيئات مختلفة وثقافات متعددة؛ لهو نص معجز يقرُّ العقلاء بإعجازه وخلوده. من هنا كان هذا الخطاب محط النظر وموئل التأمل ومحل اهتمام أرباب اللغة فضلا عن المفسرين.

والبحث اختار سورة (الزلزلة) بما تحويه من مشاهد غيبية لتصوير يوم البعث وحشر الناس للحساب بين يدي الخالق العظيم، ولا شك أن هذا اليوم مهول في أحداثه ومرعب في ساعاته، لا يعلم الإنسان عظمة ذلك اليوم إلا بتتبع لحظاته وصوره من سياق هذه السورة العظيمة، فقد صورت لنا تلك المشاهد بدقة بالغة من خلال تناسق ألفاظها وتناسب حروفها وتنوع فواصلها ونظم مفرداتها وتعاضد المستويات البلاغية والصوتية في تجسيد تلك المشاهد العظيمة.

واقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه على خمس فقرات تسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة. تناولت الفقرة الأولى الجانب النظري عرضت فيه لمفهوم التناسق والتناسب والتعريف بالسورة، والفقرة الثانية تناولت دراسة الإيحاء الصوتي، والفقرة الثالثة تعلقت بدراسة مستويات التكرار الصوتي في السورة، أما الفقرة الرابعة فكانت لدراسة الجناس، وخصصت الفقرة الخامسة لدراسة الفاصلة القرآنية في السورة، وختم البحث بذكر أهم النتائج التي توصل إليها.

الكلمات المفتاحية: القرآن، زلزال، التناسق، التناسب، الأصوات.

Abstract:

Glorious Quran represented a standing Point in the development of the Arabic language use and it reflected its infinite power.It, in addition, was able to send the supernatural and belief -related messages by manipulating an all-esthetic and wonderful sounds language in a way that is understood with ease by the first Arab listener who is characterized by simplicity and desert-like cultured.

These meanings and metaphysical denotations and connotation still have the same effect and impact all over ages till our modern ages, which are characterized by scientific and technological revolution. Although ages change, yet the Quranic text is still effective and highly stylistic in reflecting such complex metaphysical concepts to all people in all eras and ages. Surely, such a text with all the above-mentioned power and marks is a miraculous one. The researcher selected the sure of Al-Zalzalah with all the images where metaphysical scenes of the judgment day and the resurrection of people in Front of the Lord (Allah). This day is full of terrible and awful scenes and events as well as its hours. Such scenes cannot perfectly realized by humans unless they read in deep eyes such surah which formulated the pictures of those scenes in a heat and effective way, through the use of harmonic wording , rhythm , sound devices , variety of punctuation marks and pauses , and the combination of its phonological and rhetorical levels to embody those scenes. The current paper is divided into five sections preceded by an introduction and followed by a conclusion. Section one preseuted the theoretical part, definitions of concepts and the nature of harmony and the sure. Section 2 presented phonological inspiration. Section 3 introduced the levels of phonological repetition. Section 4 is allotted to rhyme whereas section 5 confined to the study of pauses between verses. Finally, main results are presented.

key words: The Qur'an, earthquake, harmony, proportion. Sounds.

المقدّمة:

يعدّ القرآن العظيم كتاب الله الخالد أنزله على أفضل خلقه، وأكمل رسله ليهدي به الناس من الضلالة إلى الهدى، وهو معجزة السماء الكبرى ودليل الله الدائم الذي لا ينتهي عند عهد أو يتوقف عند حدٍّ، ونشهد في الخطاب الرّباني المعجز المتمثل بالتعبير القرآني صياغات لغوية وانساقا تركيبية متباينة في وجوهها الدلالية ومساراتها المعنوية مؤداة بأدوات لغوية غاية في الروعة والدقة، وقد وظف القرآن الكريم اللغة العربية أروع توظيف واستعملها على أنسق نهج لتوصيل المراد الإلهي والتأثير في المتلقي، فلما كانت قدرة الله تعالى لا محدودة في انتاج الخطاب اللغوي وجب بهذا أن يكون تعامله مع هذه اللغة على وفق القاعدة اللغوية سواء أكان هذا في نطاق انتقاء الصوت الموائم لأداء المضمون أم في مجال إفراغ المعنى في وعاء صياغي معين موفٍ للغرض أو في حيز كيفية تشكيل التركيب بما ينسجم والبناء الفني للصورة الدلالية في ذهنية المتلقي وتكاملها في تصوره على أكمل وجه.

ولما كان الإخبار بالغيبيات منحى من مناحي الإعجاز في النص القرآني، فقد آثرت أن أبحث في سورة من السور التي تصور لنا أحداث يوم القيامة، وهي من الغيبيات المستقبلية، فسلط البحث الضوء على سورة (الزلزلة) التي إمتازت بعرض صورة يوم البعث، ذلك اليوم الذي يخرج الناس فيه للتهيؤ لحسابهم. وبعد صدورهم أشتاتا تعرض عليهم أعمالهم الصغيرة والكبيرة التي أحصاها سبحانه للجزاء، والمجازاة على أعمالهم من خير أو شرٍ. فكانت هذه الصور في المحاسبة العادلة ومشاهدة الناس أعمالهم بهذه الإحصائية الدقيقة وراء اختيار البحث في السورة الكريمة.

وإن بيان ما تجلى في السورة المباركة من الإعجاز القرآني بأروع صوره من: العبارات الموجزة ذات الايحاءات المروعة، والصور الفنية ذات الدلالات المؤثرة التي رسمت لنا مشهد يوم البعث. هذا المشهد الذي تأتى من خلال تناسق ألفاظها، وتناسب حروفها، ونضم مفرداتها، وتنوع فواصلها التي كشف البحث عنها وأزال الستار عن غرضها التي قصدت إليه في إيصال المعنى للمتلقي كان الهدف من هذا البحث.

واقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه على خمس فقرات تسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة. تناولت الفقرة الأولى الجانب النظري فعرضت فيه مفهوم التناسق والتناسب والتعريف

بالسورة، والفقرة الثانية تناولت فيها دراسة الإيحاء الصوتي من: (التنغيم، الجرس، الإيقاع). واختصت الفقرة الثالثة بدراسة مستويات التكرار في:(الصوت المفرد، والكلمة، والعبارة). واختصت الفقرة الرابعة بدراسة الجناس: (الجناس غير التام، وجناس الاشتقاق). وبحثت في الفقرة الخامسة الفاصلة القرآنية، ثم خلص البحث إلى خاتمة دونت فيها أهم ما تجلى لي من دراسة (التناسق والتناسب الصوتي في سورة الزلزلة) وأسدل ستار البحث عند قائمة المصادر والمراجع.

الفقرة الأولى: المدخل التعريفي

أولاً: مفهوم: (التناسق والتناسب)

أ - معنى التناسق لغة واصطلاحا:

يعدُّ المعنى المعجمي الدلالة الوضعية الأولى للمفردة وعند البحث عن المعطى المعجمي لمفهوم التناسق نلحظ أنّ المعنى له يدل على التنظيم إذ جاء في المعجمات تحت مادة (نسق): نسَّق الدرّ وغيره، ودرّ منسوق ومنسّق ونسقٌ، وتنسّقت هذه الأشياء وتناسقت، ومن المجاز: كلام متناسق، وقد تناسق كلامه: رتّبهُ، وجاء على نسقٍ ونظامٍ، والنَّسَقُ من كل شيء ما كان على طريقة نِظامٍ واحد عامّ في الأشياء، وقد نَسقْتُه تَنْسِيقاً، ونَسَقَ الشيء يَنْسُقُه نَسْقاً ونَسَّقه نظَّمه على السواء، وانْتَسَق وتَناسَق، والاسم النَّسَقُ وقد انْتَسَقت هذه الأَشياء بعضُها إلى بعض أَي تَنَسَّقَتْ[١].

أما التناسق اصطلاحا فيراد به: الانتظام والتلاؤم والترتيب، وضم الأشياء بعضها إلى بعض في نسق واحد وصورة منتظمة[٢]، ويمكن بذلك أن يعد التناسق مرادفا للاتساق في الاستعمال اللغوي؛ لأن المعطى اللغوي لهما يراد به ضم الأشياء بعضها إلى بعض في صورة منتظمة، فالوسق يراد به (ضمك الشيء إلى الشيء بعضه إلى بعض) [٣]. بيد أن التناسق أعم واشمل؛ كونه يدل على النظام، فالنسق نظام كوني ونحن نعيش في نسق متكامل الأجزاء ومتماسك الأطراف، لذلك لا يخلو علم من العلوم من النسق والتناسق لأنها - تلك العلوم- وجدت لخدمة الإنسان وتنظيم حياته. وقد عنى علماء العربية ببحث التناسق والتناسب في النص القرآني لتدبر معاني القرآن الكريم وتذوق دلالاته وكشف علاقاته المترابطة " جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير

التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء "[٤] وقد صنف بعض علماء العربية في موضوع التناسق والتناسب نحو: (تناسق الدرر في تناسب السور) للسيوطي. أما عند الغرب فنجد دي سوسير قد أخذ النسق في كتاباته مكانا مهما فهو " يتمثل بتلك العناصر اللسانية التي تكتسب قيمتها فيما بينها عن بعضها البعض وتلك الوحدات اللغوية التي تكوّن النّص يجب أن تكون متماسكة ومتآلفة حتى يتحقق المعنى"[٥]، وبذلك يعد التناسق في النّص القرآني هو إحكام السورة في بنائها والتحامها في أجزائها من معنى مترابط ونسق متسلسل ولفظ معبر إلى تعبير مصور وتصوير مشخص وموسيقى منغمة. [٦] نستشف مما سبق أن التناسق يراد به المشاركة بين الأطراف لأن صيغته الصرفية (تفاعل) تدل على المشاركة وبذلك نخلص أن التناسق هو المشاركة في انتاج ايقاع الفعل من اطراف متعددة تمثل بمشاركة البنيات الصغرى للنص لنصل بها إلى الدلالة العامة له فتشترك في ذلك البناء الأصوات بخصائصها اللغوية والصيغ الصرفية بمعانيها التكوينية ودلالة المفردات المعجمية والبنية التركيبية للجمل في تكوين الدلالة النسقية للنّص. وفي ضوء تضافر تلك الأطراف يسعى البحث في التماس أوجه التناسق الصوتي وأثره في رسم سمات المعايير النصية للخطاب الربّاني.

ب - معنى التناسب لغة واصطلاحا:

التناسب لغة مأخوذ من النسب وهو الارتباط ((اتصال الشيء بالشيء)) [٧]، ومنه سمي النسب لاتصاله به، والنسيب الطريق المستقيم لاتصال بعضه ببعض، والمناسبة المشاكلة، تقول ليس بينهما مناسبة أي مشاكلة[٨]، والمناسبة المقاربة وفلان يناسب فلانا أي يقرب منه ويشاكله[٩]، والتناسب الاعتدال قال ابن منظور: ((وكلُّ ما تَناسَبَ فقد اعْتَدَل))[١٠].

أما التناسب اصطلاحا فهو: الارتباط، والائتلاف وعرَّفه البقاعي ((علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال.))[١١]، وقال ابن العربي عن التناسب هو: ((ارتباط آيات القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة منسقة المعاني، منتظمة المباني))[١٢]، وبهذا يكون مصطلح التناسب مأخوذ من الأصل اللغوي (الترابط) فهو الترابط بين آيات القرآن الكريم وسوره. وقد عُرِف -عند دي بوج ارند- بـ(الالتحام) وهو" يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر

المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه وتشتمل وسائل الالتحام:

١- العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص.

٢- معلومات عن تنظيم الأحداث والموضوعات والمواقف(١٣).

وعُرِف التناسب عند جميل عبد المجيد بـ(الانسجام) وهو عنده " يختص بالاستمرارية المتحققة في علم النّص ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم".(١٤) نخلص من بيان مفهوم التناسب أنه متعلق بالجانب الدلالي للنص ويبحث في تعلق أجزاء النص دلاليا، واستمراريته الدلالية من أول النص إلى آخره من دون انقطاع أو ثغرات. ويتجلى التناسب في سورة الزلزلة المباركة في:

١ـ تسمية السورة وفضلها:

سميت هذه السورة بـ(إذا زُلْزِلَت)، لأنها ابتدأت بقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾. والسورة تسمى إما بفاتحتها أو بأبرز شيء فيها. وتسمية هذه السورة بـ(إذا زلزلت) تسمية توقيفية، أي تتوقف على نقلها عن النبي(ص) في بيان فضلها، إذ قال: ((من قرأ سورة (إذا زلزلت) أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله.))(١٥). وأخرج الترمذي من حديث أنس من قرأ (إذا زلزلت) عدلت له بنصف القرآن(١٦)، وتسمى السورة بسورة (الزلزلة)(١٧)، وذلك من قبيل المعنى، إذ لم يرد لفظ الزلزلة في السورة الكريمة، ومما سبق يتبين أن الاسم التوقيفي للسورة المباركة هي (إذا زلزلت). ولاسم السورة ومضمون النص علاقة وثيقة إذ يعد عنوانا للسورة. يقول جميل حمداوي عن عنوان-اسم- السورة: "يعد العنوان من أهم العتبات النصية الموازية المحيطة بالنّص الرئيس، إذ يساهم في توضيح دلالات النّص، واستكشاف معانيه الظاهرة والخفية إن فهما وإن تفسيرا، وإن تفكيكا وإن تركيبا....فالعنوان هو المفتاح الضروري لسبر أغوار النّص، والتعمق في شعابه التائهة، والسفر في دهاليزه الممتدة" (١٨). ثم يضيف قائلا:" كما أنه الأداة التي بها يتحقق اتساق النص وانسجامه، وبها تبرز مقروئية النص، وتنكشف مقاصده المباشرة وغير المباشرة وبالتالي، فالنص هو العنوان والعنوان هو النص وبينهما علاقة جدلية وانعكاسية أو علاقة تعيينية أو إيحائية أو علاقة كلية أو جزئية..." (١٩).

٢ـ مناسبة السورة لما قبلها (العلاقة الخارجية).

تعرف العلاقة الخارجية بين السور بـ(التناص) وهو ما يستعمل "للإشارة إلى مجموعة نصوص مرتبطة فيما بينها بعلاقات تناصية" [٢٠]. والتناص هو " علاقة تقوم بين أجزاء النّص بعضها ببعض، كما تقوم بين النصوص والنص، كعلاقة السؤال بالجواب، وعلاقة التلخيص بالنص الملخص، وعلاقة الغامض بما يوضحه"[٢١]، وبهذا نجد ارتباط سورة (الزلزلة) بالسورة التي قبلها وهي سورة البينة ارتباطاً وثيقاً، وذلك من خلال التناسب فيما بينها، إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا...﴾ (البينة/٧). فبين سبحانه جزاء الكافرين وجزاء المؤمنين، لذلك تطلعت النفوس إلى معرفة الوقت الذي يكون فيه الجزاء، فكأن قائلاً قال: متى ذلك؟ فقال سبحانه مبيناً علامات ذلك الوقت بوقوع (الزلزال)[٢٢].

٣ـ أ مكية السورة أم مدنية (الموقف)؟

تعد سورة (الزلزلة) مدنية مبكرة في قول ابن عباس وقتادة، وهي سادس السور المدنية على المشهور في ترتيب النزول[٢٣] وهي مكية في قول ابن مسعود وعطاء وجابر[٢٤]، ونزلت بعد سورة البقرة. ويقف البحث مع القول بمدنية السورة، على الرغم من أن سماتها هي سمات السور المكية من حيث القصر في الآيات، والجرس القوي والإيقاع السريع إلا أن هذا ما نجده في الغالب عندما يذكر الله علامات الساعة سواء أكانت السورة مكية أم مدنية. والدليل على ذلك إن الله بعدما فرغ من بيان مجازاة أعمال الصالح والطالح، ترقب هؤلاء متى موعد ذلك الجزاء فجاءت سورة (الزلزلة) جواباً لمن يسأل أيان موعدها[٢٥].

٣ـ الوحدة الموضوعية.

يقصد بـ(الوحدة الموضوعية) وحدة الهدف والفكرة في السورة، وترابط المعاني بعضها ببعض ليجعل من السورة الكريمة وحدة واحدة وموضوعاً واحداً متناسبا، ولو تتبعنا مفهوم (الموضوع) نجده هو ما يدور حوله الأثر سواء أدل عليه صراحة أم ضمناً وقد اشار إليه علماء اللغة بـ(الفكرة الجوهرية) أو (القضية العامة) التي يدافع عنها الأثر الأدبي[٢٦]، فالموضوع يطلق على توصيف الوحدة الدلالية لنص ما. ولمَا كان النّص يتضمن مجموعة من الجمل تمثل وحدة دلالية مرتبطة بموضوع محدد؛ فأن البنية الدلالية الكبرى للدلالة على

موضوع النّص بالكامل تتمثل بتلك الوحدات الدلالية الفرعية للموضوعات. وعند ذكر عنوان السورة وارتباطه بموضوع الخطاب وهو ما يعرف بـ(التغريض). فأنه يمثل وسيلة تعبيرية ممكنة عن الموضوع ؛ لأن العنوان هو أول ما يداهم بصيرة القارئ وعند النظر إلى عنوان السورة وموضوعها المحوري والفرعي نجد العنوان يفصح عن مضمون السورة وما تتضمنه من مشاهد واحداث. تلك المشاهد التي تختص بيوم القيامة وهو يوم البعث والجزاء وهو الوحدة الفرعية. أما بيان موقف الإنسان من أحداث يوم البعث ورؤية أعماله هو الوحدة الموضوعية المحورية للسورة(لأن دلالة الوحدة الموضوعية الفرعية الأخيرة للنص تتضمن الاشارة إلى جميع دلالات الموضوعات في النص وهذا ما يعرف بالموضوع المحوري)[٢٧]. ويمكن تقسيمه على ثلاثة مواقف متجانسة كلها تختص بمجازاة الإنسان وموعد ذلك الجزاء:

١- أشراط القيامة وما يعتري الإنسان عند حدوثها.

٢- حشر الناس أشتاتاً.

٣- رؤية الإنسان عمله حاضرا كله.

الفقرة الثانية: الإيحاء الصوتي

للصوت أهمية بارزة في بناء المفردة والجملة، ونجد أن استعمال القرآن للصوت في محله فيه ملمح إعجازي عالي الدقة، وصورة مضمونية فائقة الروعة؛ إذ ينتقي الصوت الأوفى في المعنى والمناسب لدلالة السياق؛ للتعبير عن المعنى المراد. والصوت عند ابن جني هو ((عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين، مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً. وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها))[٢٨] أما الصوت عند المحدثين فهو ((البناء الموسيقي للألفاظ))[٢٩] وهو ((اضطراب مادي في الهواء يتمثل في قوة أو ضعف سريعين للضغط المتحرك من المصدر في اتجاه الخارج ثم في ضعف تدريجي ينتهي إلى نقطة الزوال النهائي))[٣٠].

وينفرد التعبير القرآني بأصواته وكذلك مفرداته المليئة بالإيحاء؛ لأنك ((لا تحس فيها بكلمة تضيق بمكانها أو تنبو عن موضعها أو لا تعيش مع أخواتها، حتى صار من العسير بل

من المستحيل أن تغير في الجملة كلمة بكلمة أو أن تستغني عن لفظ أو أن تزيد فيها شيئاً، وصار قصارى أمرك إذا أردت معارضة جملة من القرآن أن ترجع بعد طول المطاف إليها كأنما لم يخلق إليه لأداء تلك المعاني غير هذه الألفاظ، وكأنما ضاقت اللغة فلم نجد فيها وهي بحر خضم لتؤدي به تلك المعاني غير ما اختاره القرآن لهذا الأداء))[٣١]، ومن هنا يتضح سر جمال التعبير القرآني.

ومن أسباب ذلك الجمال هو ((اتخاذ اللغة القرآنية أحياناً الصوت المتكرر كوسيلة بلاغية لتصوير الموقف وتجسيمه والإيحاء بما يدل عليه معتمدة في ذلك على ما تتميز به بعض الألفاظ من خصائص صوتية، وما تشيعه بجرسها الصوتي من نغم يسهم في إبراز المعنى المراد، ولنجد القرآن الكريم يستخدم هذه الوسيلة البلاغية باقتدار رائع وإعجاز معجز، فالصوت المفرد يختار بعناية وتصاحبه أصوات أخرى قد تكون متقاربة المخارج إن احتاج الموقف ذلك، وقد تكون متباعدة المخارج إن كان التباعد أدل على المعنى وأكثر تصويراً له))[٣٢]. ولاستظهار معاني ألفاظ سورة (الزلزلة) عن طريق الإيحاء الصوتي والدلالة لحروفها يمكن أن نقسمه على:

١- التنغيم:

للتنغيم أثر واضح في تحديد جمال اللفظة الموسيقية وعذوبتها لما له من أثر في حدها بالإيحاء المنبعث من أصواتها، ويحمل في الوقت نفسه دلالات وظيفية متعددة. ويعرف التنغيم بأنه ((المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع والانخفاض في الجهر في الكلام، وهذا التغيير في الجهر يعود إلى التغيير في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين، وهذه الذبذبة التي تحدث هي (نغمة) موسيقية، ولذلك فالتنغيم يدل على العنصر الموسيقي في الكلام))[٣٣] فالتنغيم في ضوء ما سبق هو ((تمكن الصوت بكلمة مع رقة أو تفخيم لإرادة معنى التعظيم أو الاستخفاف أو التعجب أو الاستفهام مع قرينة صوتية))[٣٤]. ولذلك لابد من وجود التناسق والانسجام بين الأصوات كي يتحقق غرض التنغيم في الكلام.

وقد ورد التنغيم في سورة (الزلزلة) المباركة في الآية الأولى منها إذ قال سبحانه جلّ وعلا ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، فالآية الكريمة يهيمن عليها التنغيم بفضل أسلوب رد العجز على الصدر في قوله (زلزلت - زلزالها). والمراد بذلك إذا حركت الأرض تحريكاً شديدا

لقيام الساعة، ولبيان دلالة رد العجز إلى الصدر هو دلالة على زلزال الأرض التي كتب عليها، ولتوحي دلالة إضافته إليها، لأنه -الزلزال- يعم جميع الأرض بخلاف الزلزال المعهود الذي يضرب بعض الأرض، فيكون قوله (زلزالها) تنبيهاً على شدته.[٣٥] فإعادة اللفظ مرة ثانية أضفى بعداً نغمياً على النص مليئاً بالإيحاء.

ومن الآيات التي اشتملت على سمة التنغيم ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، فقد جيء بالتقابل بين اللفظتين (خيراً) و(شراً)، ليدلا على أعمال الإنسان الخيرة والشريرة، وقد وردتا بصيغة الإنكار، للدلالة على العموم فالخير هو (اسم تفضيل، وهو الحسن لذاته، وهل كل ما يرغب فيه الكل من عدل وفضل)[٣٦]. والشر (خلافة فهو السوء والفساد والظلم).[٣٧]وقد أضافت لسمة التنغيم، تكرار الألفاظ في الآيتين (من- يعمل- ذرة-مثقال- يره)، ليفصح عن تنغيم يضفي حلاوة سمعية إلى المتلقي تجعل منه قمة في الأداء الصوتي التعبيري، ويعطي وظيفة دلالية تكمن في فهم معنى النص والمراد من قوله تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ....﴾ بأن الموقف ليس موقف جزاء أو حساب مثلما ذهب كثير من المفسرين، وإنما هو موقف متعلق برؤية الإنسان عمله كله محضراً في دقة، لا يغادر منه صغيرة ولا كبيرة من الخير والشر إلا أحصاها سبحانه وتعالى[٣٨].

٢- الجرس:

يعرف الجرس بأنه ((قيمة جوهرية في الألفاظ وبنائها اللغوي، وهو أداة التأثير الحسي بما يوحيه إلى السامع باتساق اللفظة وتوافقها مع غيرها من الألفاظ في التعبير الأدبي))[٣٩].

جاء في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، فنرى لفظة (زلزلت) قد انبعث منها جرساً متدفقاً أسس حضوراً واضحاً في سياق الآية الكريمة، فـ(الزلزلة) أصلها من (زلّ): أي تحرك بشدة، وتزلزلت الأرض زلزلة وزلزالاً: تحركت واضطربت[٤٠]. والمراد أنها اهتزت وارتجفت كناية عن التخويف والتحذير، فنجد لفظة (زلزلت) تحمل جرساً مميزاً فضلاً عن حركة الاضطراب، وهذا ما أوعز به أصلها الحسي من زلت الصفاة، أي ملست حتى تنزل القدم عليها مضطربة. لذا تجلى الجرس في هذه اللفظة مليئاً بالشدة والاضطراب والخروج من حيز الثبات، والزلق والهول، ومن خلال تناسق حروفها (اللام والزاي)،

فـ(اللام) صوت جهوري منحرف ذلقي. والزاي أيضاً صوت جهوري ولكنه صفيري، ولما عنوا شدة (الزلل) ضاعفوا الفعل.

ولتشخيص تلك الحركة، وذلك الهلع والخوف والاضطراب سيق الفعل بالبناء للمجهول وتصدره بأداة الشرط (إذا) لتحقيق المباغتة بوقوع الزلزال وتؤكد وقوع الحدث (يوم الحشر)، وصرف الذهن عما سواها إليها. ولنجد أن الزلزال حركة حسية، أبرزها معنوياً سياق النّص وجرسه وأفصح عنها، ليكون الدال صورة منعكسة عن المدلول.

٣- الإيقاع

يعرف الإيقاع بأنه ((تردد نغمات سمعية متجانسة بعد فترات ذات مدى متشابه، فيمكن إذن التحصيل على الإيقاع))[٤١]. وقيل هو: ((حركات متساوية الأدوار لها عودات متوالية))[٤٢].

ومن سمات الإيقاع في النص القرآني ما تضمنته الآيات ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾، فالإيقاع تأتى من التناسق والتوازن بين ألفاظها، فنجد فاصلة الآية الأولى (زلزالها) متساوية مع فاصلة الآية الثانية (أثقالها) في عدد حروفها، ومتحدة في حروف التقفية، وذات إيقاع موسيقي متحد، فتكرار المقطع - الها- الطويل المفتوح أضفى جواً مهولا فذلك الحدث الذي هت وهز الأرض وزلزلها امتد ذلك الزلل و الاضطراب بامتداد صوت المدّ الطويل ودلالة اللام المنحرفة التي حرفت كل شيء مستقر على وجه الأرض وبمساندة الهاء شبه المدية من الصوائت الطويلة في وضع مجرى الهوى [٤٣]. فتتواشج أصوات المد مع الهاء لتمنح الألفاظ القوة في تمكين المعنى والزيادة في تثبيت الصورة في الأنفس بسبب طبيعة خروجها من دون حائل أو احتكاك عند الأداء الصوتي لها[٤٤]؛ لذلك استوعب مقطع - لها- إظهار الحدث الهائل وتصويره في تسلسل مروع يأخذ بمجامع الألباب، فضلاً عن تناسقها الإيقاعي في ترتيب تتابع وقوع الحدث بدلالة حرف العطف (الواو)، تابع إخراج الأرض لحملها الثقيل، بعد وقوع الزلزال وتشقق الأرض، فتكرار لفظة الأرض و إسناد الإخراج إليها يزيد من هول الحدث وينفي بقاء جزء منها لم يزلزل أو مازال محتفظا بأثقاله.

ويرد الإيقاع واضحاً في الآية الخامسة من السورة المباركة من خلال تناسب الألفاظ مع

أجوائها المعنوية، ويفصح عن ذلك العدول في تعدية الفعل (أوحى) بالحرف (إلى) إلى تعديته بحرف (اللام) في قوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾، وقد علل أبو حيان في تفسير تعدية الفعل بـ(اللام) قائلاً: ((عُدّى أوحى باللام، وإن كان المشهور تعديتها بـ(إلى) لمراعاة الفواصل الأفعال فيها))[٤٥]. وأورد ابن هشام في المغني الآية الكريمة للاستشهاد بها على أن (اللام) تأتي موافقة لـ(إلى)، إذ قال: ((إن اللام تقوم مقام إلى))[٤٦] ونقف عند ما أوحى به اللفظ في الآية الكريمة ليفصح بجلاء عن المعنى المراد بتعدية الفعل (أوحى) بـ(اللام)، وذلك في قول بنت الشاطئ وهو ما نطمئن إليه (إن الموحى به يتعدى إليه الفعل بنفسه، أما الموحى إليه فيتعدى الفعل إليه بحرف الجر (إلى). إذا كان من الأحياء، وأسندت القول بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي...﴾[٤٧] سورة النحل. أما الجماد فلا يتعدى الوحي إليه بحرف (إلى) بل بحرف (في) في قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾[٤٨]، أو بـ(اللام) في الآية الكريمة.

ليتبين لنا أن الفاصلة القرآنية تتناغم شكلاً وبناءً ومعنىً، وتتعانق مع ما قبلها، فضلاً عن توازنها في توسط طولها، لتضفي إيقاعاً موحياً معبراً عن دلالة طواعية الأرض في زلزالها وإخراجها، وتحديثها لمالك تصريفها (عزّ وجل).

الفقرة الثالثة: التكرار

يعمل التكرار على إغناء الجانبين الصوتي والدلالي للنَص الأدبي، ولهذا نجد أن الخطوة الأولى في التحليل الأسلوبي ستكون بمراقبة مثل هذه الانحرافات كتكرار صوت، أو قلب نظام الكلمات، أو بناء تسلسلات متشابكة في الجمل[٤٩]. وقد أولى العلماء العرب القدماء عناية كبيرة لموضوع التكرار، فقال عنه الفراء "الكلمة تكررها العرب على التغليظ والتخويف"[٥٠].

وقد أعطى البلاغيون للتكرار دواع كثيرة منها (التأكيد - التقرير - التحسر - التلذذ - والتعظيم - التهويل- والتعجب) [٥١]. والتكرار يعد أحد أبرز العناصر الصوتية المستخدمة لغايات أسلوبية في الكلام[٥٢]؛ لذا سوف يرصد البحث مدى تحقيق تلك الغايات الأسلوبية في آيات سورة الزلزلة، لكشف خصائصها الجمالية التي تشتمل عليها مستويات التكرار:

١- مستوى التكرار في الصوت المفرد:

مما لا شك فيه أن تكرار صوت أو عدة أصوات يؤدي إلى شيوع جرس موسيقي يكون ملبيا لحاجة المعنى والسياق، فإذا كان السياق يتطلب جرساً شفافا هادئا جاءت الأصوات سلسة ورقيقة، أما إذا تطلب الخشونة والقسوة فيأتي قويا هادرا، ولما كان القرآن الكريم يتميز أسلوبه بالتنظيم الدقيق لأصواته وترتيبها بالشكل الذي لا يوحي بوجود تنافر فيما بينها وصولا إلى المعنى المطلوب إيضاحه بأيسر الطرق، لذا يمكن أن نصنف الأصوات في سورة الزلزلة على قسمين:

أ - الأصوات المهيمنة ب- الأصوات المؤازرة [٥٣].

ولتحقيق سمة سمعية أداها التكرار، نحصي عدد الحروف المتكررة في أحد المواقف التي ذكرناها في الوحدة الموضوعية وهو: أشراط يوم القيامة قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۞ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾، فالصوت المهيمن هو صوت اللام وقد تكرر عشر مرات ولهذا التكرار مزية سمعية من خلال موسيقى الألفاظ التي حوت هذا الصوت وذكرنا أن ((اللام)) هو صوتُ ذلقي انحرافي مجهور جانبي منفتح مخرجهُ من حافة اللسان ويؤازره في الآية المباركة صوت أخر هو صوت الزاي حتى تكاد زلزلتهُ تضفي على الرغم من قلته وهو صوت صفيري منفتح جهوري أيضا مخرجه من طرف اللسان فوق الثنايا السفلى ويدعمه صوت أخر وهو صوت القاف الشديد المستعلي القلق، ويشد من شدة الموقف ويهته هتا الهاء الحلقية لتسند إلى صوت الإطلاق لتكون معه إكسير النص،[٥٤] فأفاد الصوت المدي بيان دلالة عموم الكارثة وشمول الحادثة. وهذا ما انتجته أصواتها المتواشجة لتقف امامنا صورة حسية ملموسة تتمثل بزلزلة مدمرة تنخلع لهولها القلوب وتذهب من شدتها العقول وتزل الأقدام من شدة وقعها وقلقلتها وتتصاعد الأصوات المدوية من هولها.

٢- مستوى التكرار في الكلمة

وهو عبارة عن تكرار الكلمة أو اللفظة لعدة مرات داخل نسق الآيات القرآنية وليس المقصود من هذا التكرار مجانسة الألفاظ بعضها لبعض وإنما تكرار المتشابه بينها ومشاكلته فيما بينها وصولا إلى تقوية النغم وإبراز الإيقاع وإيصاله إلى المتلقي من خلال الأثر الذي يتركه في السامع والقارئ ولهذا قالوا أن هذا ((الضرب من التكرار هو الذي يفيد تقوية النغم في الكلام))[٥٥]. والتكرار في الكلمة أو اللفظة يتم بعدة وجوه منها: الأفعال ومنها

الأسماء، والمشتقات، وأشباه الجمل فنجد التكرار في:

أ - التكرار في الظرف: ورد تكرار الظرف (يومئذ) على صيغة (يفعل) الدالة على الزمن المستقبل البعيد في الآيتين (٤-٦) من السورة المباركة، ودلالته على زمن المستقبل البعيد تأتي على القرينة اللفظية (يوم) تحديث الأرض والحشر والصدور (يوم قيام الساعة). ولما كان تكرير الكلام تقريره[٥٦]، وهو سنة من سنن العرب لإعادة إرادة الإبلاغ بسبب العناية بالأمر[٥٧]. فكان تكرار (يومئذ) لبيان تأكيد وتقرير وقوع الساعة، وذكرت د.عائشة ((إن تكرار (يومئذ) لا يدل على زمن المستقبل البعيد فقط، بل يدل على لفت قوة يستحضر معه السامع ما مضى من وصف اليوم، فلا يتابع ما بعده (يومئذ) منصرفاً عما قبلها مستقلا عنه))[٥٨].

ب - تكرار الاسم:

إن الاسم في العربية يؤتى به للدلالة على ثبات المعنى وديمومته، وقد جاء تكرار اسم (الأرض) في الآيتين الأولى والثانية من السورة الكريمة، فالأرض اسم جنس مؤنث، يعبر بها عن أسفل الشيء. وجمع الأرض أرضون، والأرض هي الجرم المقابل للسماء[٥٩].

وقد اختصت الأرض بحدث الزلزال، لذا جاء تكرير لفظة الأرض، لبيان دلالة ما يحدث على سطحها من تشقق وتساقط البناء وخسف وغور بعض أجزائها إلى باطنها، وانبعاث ما في جوفها من موتى وكنوز. وهذا ما استوجب اظهار اللفظة -الأرض- بدلا من إضمارها لتقرير وقوع زلزالها، واضفاء التهويل لما يحدث لها من عملية اخراج وتحديث، وإن دلالة تعريف الأرض بـ(ال) أفاد استغراق الحدث الشامل لأركان الأرض جميعها، واخراج ما في جوفها جميعا أيضا، فحدث الإخراج تختص به الأرض وعملية الإخراج تحتاج إلى قوة كبيرة لا يقوى عليها سوى ذلك الزلزال العظيم [٦٠].

ج- التكرار في مستوى العبارة:

ويمثل هذا النوع من التكرار قمة الأداء الصوتي المنبعث من النص، لما يتسم به من الشمولية والاتساع، مقارنة بالأنواع المذكورة سابقا من التكرار، فهو يعمد الى تكرار العبارة أو الجملة القرآنية داخل السياق ليمنح النص القرآني تشكيلا صوتيا جماليا أسلوبيا خلابا.

ويرى الزمخشري في التكرار هو (تمكين المكرر في النفوس وتقريره) [٦١]. لذا فالتكرار في العبارة أو الجملة يعمل على ايقاظ ذهن المتلقي من خلال قرع الأسماع بالجرس المنبعث من ألفاظها. ومن الآيات التي اشتملت على تكرار العبارة ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ سيق التقابل بين (الخير والشر) في تكرار العبارة، ليدل على التحذير والتنبيه، لان أعمال الإنسان قد أحصيت ليراها في ذلك اليوم، وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية وقد ساندتها الأداة (من) الشرطية للدلالة على العموم أي عموم العمل الصالح وعموم العمل غير الصالح ليجدها الإنسان أمامه، وهذا ما أوضحه إيراد الفعل المضارع في الآيتين، وكان مقتضى السياق أن يقال: (من عمل مثقال ذرة خيرا قبل ذلك اليوم والمراد جزاءه عليها) فقصد سبحانه وتعالى مجيء الفعل المضارع، لأن المقام مقام رؤية الإنسان أعماله ومن كلا الصنفين (الخير والشر) وليس مقام عمل[٦٢]. فأسس التكرار والعطف وصيغة المضارع، والصفات (ذرة) والوزن (مثقال) سمة أسلوبية عن طريق تخير تلك الألفاظ لترسم جرسا مفاده تحذير الإنسان ودفعه لفعل الخير، لأن كل عمل يقوم به يحصى في كتاب مبين ويعرض عليه في ذلك اليوم (يومئذ يصدر الناس اشتاتا).

الفقرة الرابعة- الجناس:

يعرف الجناس لدى البلاغيين بأنه (اتفاق اللفظتين في وجه من الوجوه مع اختلاف في المعنى) [٦٣]. وللجناس وظيفتان من ناحية الشكل والمضمون، فهو شكلا يزيد من الناحية الإيقاعية والنغمية، أما مضمونا، فيزيد من الانسجام بين المعاني، وذلك عن طريق الأسلوب السلس والمحبب، ويمكن ان يعد الجناس صورة من صور العدول عن الأصل، فاللفظ إذا حمل معنى ثم نراه يتكرر ويحمل معنى آخر عندئذ يكون ذلك خروجا عن المألوف مما يحدث الدهشة والإعجاب والنشوة في ذهن المتلقي او المخاطب. وسمي الجناس جناسا، لأن ((حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد)) [٦٤]. ويكتب الجناس أهمية بارزة تتأتى من المنحى الجمالي الذي يضيفه على النص فهو من الحلي اللفظية والألوان البديعية التي لها تأثير بليغ، تجذب السامع وتحدث في نفسه ميلا إلى الإصغاء والتلذذ بنغمته العذبة، وتجعل العبارة على الأذن سهلة ومستساغة، فنجد في النفس القبول، وتتأثر به أي تأثير، وتقع في القلب أحسن موقع[٦٥]. وللجناس أنواع منها (الجناس التام، الجناس المعكوس، الجناس غير التام، وأخيرا جناس الاشتقاق)[٦٦].

١- الجناس غير التام:

وهو ما اختلف فيه اللفظان في عدد الحروف أو أنواعها أو ترتيبها أو هيئآتها مع وجود اختلاف في المعنى(٦٧).

ومما جاء من الجناس غير التام في آيات السورة المباركة هو بين لفظتي (شرا، خيرا) في الآية السابعة والثامنة. وهو جناس اللاحق. (٦٨) فاللفظتان متشابهتان في (الراء والالف)، ومختلفتا في حرفي(الخاء) و(الشين). فاحدث الجناس اللاحق نغمة إيقاعية متأتيه من اختلاف اللفظتين في الحرف الأولى منها، وبالتالي اختلاف معناها. فالشر يناقض الخير ويعمل ضده، وهذا ما يرسم سمة أسلوبية تحمل المخاطب إلى التدبر في أعماله لأنها محصية للعرض لإلقاء الحجة عليه ليلاقي بعدها مصيره استنادا إلى تلك الأعمال (الخيرة والشريرة).

٢- جناس الاشتقاق:

وهو أن يجمع اللفظين أصل واحد في الاشتقاق. ويعرف بأنه ((ما تجانس ركناه في الأصل واختلفا بالهيئة إذ كل منهما على صورة من صور الاشتغال مع المحافظة على ترتيب الحروف الأصلية في الركنين)) (٦٩). وجاء جناس الاشتقاق المتماثل مثلما ذكرنا لبيان وقت يوم القيامة، وذلك ببيان علامات ذلك الوقت فجاء في قوله تعالى:{اذا زلزلت الارض زلزالها}. فنجد أن أصل الجذر اللغوي للفظتي (زلزلت- زلزالها) هو (زل) فاشتق من الفعل المضاعف (زلزل) والمصدر (زلزال)،ولنرى الجناس جاء ليضفي ضلالا موسيقية فضلا عن الدلالة التعبيرية.

الفقرة الخامسة: الفاصلة القرآنية:

للفاصلة القرآنية آثر بارز في بناء التشكيل الصوتي للآيات القرآنية بفضل التنظيم الدقيق للألفاظ، واتساقها بشكل يظهر مما فيها على الوجه الأمثل، ويعد الرّماني أول من عرفها بقوله ((حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني)) (٧٠). وكذلك من تعريفات الفاصلة بأنها ((كلمة أخر الآية، كقافية الشعر، وسجعة النثر)) (٧١). ويرى الدكتور أحمد جمال العمري أن التعريف الذي وضعه القدماء (للفاصلة القرآنية)) ليس تعريفا جامعا مانعا. لأن قولهم يقع بها (إفهام المعنى) يلزم منه ان يكون للفاصلة دلالة مستقلة تتفاعل مع

المعنى الذي تحمله الآية التي هي فاصلتها، وهذا ما لا يمكن أن يتحقق في كثير من الفواصل التي هي بعض الآية أو الفواصل التي هي آيات مستقلة بذاتها[٧٢]. وقال في تسميتها الزركشي: (تسميتها - الفاصلة - لأنها ينفصل عنها الكلام اي تفصل الآية التي تقع فيها عما بعدها) [٧٣]. ولهذا يتجلى في القرآن إيقاع موسيقي بتوالي الآيات، ومن هنا ترى أن ((من خصائص الإيقاع الموسيقي سر من أسرار القرآن، ودليل من دلائل الإعجاز في هذا البيان))[٧٤].

ويرى الدكتور محمد أبو موسى أن (القرآن حين يراعي الفاصلة وتبقى على تنغيمها. إنما يحفظ وسيلة من أقوى وسائله في التأثير لأن رنين الكلمات وجرسها وتوافق إيقاعاتها لغة تتغلغل في النفس والضمير، وتسمو بالروح إلى آفاق قدسية ثم ينتهي إلى هذه الفواصل فيجد عندها القرار)[٧٥].

إن المتمعن في دراسة التعبير القرآني، يلحظ أن موسيقى الفواصل تتناسق مع سياق الآيات وتناسبها مع أجوائها المعنوية، وهذا ما وجدناه في سورة الزلزلة، فتأمل كيف يلتقي الجرس الموسيقي مع إيقاع حركة الجمل الصوتية، ويظهر ذلك بتناسق الصورة في جزيئاتها المتناسبة، بتناسق الجناس، ومراعاة النظير في التعبير، ويتسق مع جو السورة وسبب النزول، فيتجه الوجدان إلى الصور والظلال إلى الإيقاع والتناسق[٧٦].

وعلى الرغم من قصر السورة الكريمة إلا أنها تعددت فواصلها (الألف، الميم، الهاء) ونجد (الألف) قد أثبت حضورا أكثر من غيره، وذلك لما فيه من التمكن في التطريب، وهذا ما قاله الزركشي ((قد كثر في القرآن ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحرف (المد) أو (اللين) وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك))[٧٧]. ونجد أن تعدد الفواصل يعد إلى تغير الغرض، إي بعد انتهاء تقرير شيء، يبدأ نسق معنوي جديد، فيتغير نظام الفاصلة لذلك ترد منسجمة مع الجو الذي تطلق فيه الموسيقى التي تصاحب كل مشهد. فالفاصلة الأولى للآيات الخمس تنتهي (بمقطع طويل مفتوح)، فأصوات المد تمنح الآية قوة على الإسماع بسبب عدم وجود الاحتكاك والحائل في مجرى الهواء عند خروج الصوت، وتزداد تلك القوة بضم صوت الهاء- الشبيه بأصوات المدّ- للمقطع[٧٨]، فتصور لنا امتداد تلك الزلزلة العظيمة بامتداد أصوات المدّ ومدى عمق تشقق الأرض وخروج أثقالها تجانسا مع عمق

مخارج تلك الأصوات الجوفية وتلك الامتدادات جاءت موافقة مع استفهام الإنسان واستغرابه عن حال الأرض في ذلك الموقف العصيب.

أما الفاصلة الثانية (الميم) ذات المقطع القصير المغلق، فالميم صوت مجهور متوسط في صداه الغنة ويدل على الجمع[٧٩]. أسهم في كشف صورة الإنسان الذي خفت عنه حالة الفزع ليرتفع بصره شاخصا لتبدأ عنده المرحلة الثانية بعد هول المنظر إلى مشاهدة مسيرته من الأعمال، فالميم جاء منسجما ومتوافقا مع ذلك المقام الذي هو غاية تلك الزلزلة ليقف الإنسان - البشرية جمعاء - على عمله ولتشهد عليه الشواهد الناطقة وتقرّ عليه البراهين الصادقة، فنجد تناسق الصوت مع المعنى جاء متناغما مع الفاصلة فأغلق على الإنسان جميع منافذ الإدراك والرؤى وصب اهتمامه حصرا على مشاهدة أعمالهم جميعها وايقافهم على حقيقتها وهذه هي علة صدور الناس متفرقين. أما الفاصلة الأخيرة للوحدة الصوتية (الراء والهاء) فقد حملت شحنة دلالية رسمت الدهشة في النظر لهذه الإحصائية الدقيقة لأعمال الإنسان التي يعرضها سبحانه وتعالى، فصوت الهاء المهموس يجسد صوت حفيف زفرات يصدرها مع خفقان قلبه المنهار بعدما عمّ السكون وهدأت الأحداث ليرى أعماله قد نشرت في تلك الساعة[٨٠]، وقد ساعدت في وضوح صورة الإنسان لجل عمله الفاصلة ذات المقطع المغلق عند الوقف، فهذه نهاية المشوار وانغلاق كل عمل لأنه موقف جزاء. ولذلك تكون الفواصل لها قيمة في إتمام المعنى، وهي مرتبطة بآياتها تمام الارتباط، ولها أثرها الموسيقي في نظم الكلام، ووقعها في نفس المتلقي ما يجعل هذه المناسبة أمرا مرعيا.

الخاتمة:

وقبل أن يسدل هذا البحث ستاره، ويعيد قلمه إلى دواته، لا بدّ أن يعرض ما استطاع أن يخلص إليه من نتائج:

- الإيحاء الصوتي المنبعث من السورة المباركة، كان نتيجة لتواشج الصوت مع المعنى، عبر العلاقة بين شكل اللفظة وطبيعة النسق داخل الآية. فالصوت يقوم بنصرة المعنى، وقد ظهر ذلك بوضوح عبر اختيار الألفاظ ذات الجرس الموحي، واللجوء إلى أساليب التكرار والجناس، فضلا عن السمات الفنية التي اشتملت عليها الفواصل القرآنية.

- إن ارتكاز بنية النص الأسلوبية في إيراد الفعل المبني للمجهول في السورة، قد أضفى دلالة (تلقائية الحدث)، وصرف الذهن إليه والتركيز عليه والانتباه إليه، فجاء منسجما مع الجو العام للسورة المباركة ونغمتها الإيقاعية.
- غلبة الأصوات المجهورة جاء مناسبا لمقتضى الحال ووقع الجرس؛ ليجسد هول ذلك اليوم وعمق صورته وقوة انفجاراته وصدى الأصوات المصاحبة له وجلبتها حين تنفض الأرض ما في جوفها.
- ساعدت الأصوات اللغوية بصفاتها الدلالية على تشكيل البنية الصوتية المتكاملة لسورة الزلزلة، لتجسيد صورة الأرض المزلزلة، فضلا عن تناوب مقاطعها في الوقف التي أبرزت تلك الصورة المباغتة الواقعة لا محال لها، فنجدها تتلاءم فنيا مع جو الموقف، ونسق السياق، من أجل التأثير في المتلقي وحمله على الإقناع والتيقن، وبالتالي فهم يخرجون اثقالا ويصدرون اشتاتا ليروا أعمالهم مثقالا مثقالا.
- ساهمت أصوات المدّ في فواصل الآيات في إيصال المعاني القوية وتأثيرها في نفس القارئ بسبب قوة إيقاعها الموسيقي في تصوير مشاهد يوم البعث.
- يعد التناسق والتناسب من المصطلحات العامة للأنظمة اللغوية التي تدل على التنظيم والترتيب وتداخل العلاقات وتواشجها ضمن مجموعة من العناصر اللغوية المتبادلة التأثير لتوصلنا إلى المفهوم العام والدلالة الكلية.

هوامش البحث

(١) ينظر: أساس البلاغة: ٩٥٣، لسان العرب: ٣٥٢/١٠.

(٢) ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم (سيد قطب):٨٧.

(٣) ينظر: لسان العرب:٢١٣/١٥. الغريبين في القرآن والحديث:١٩٩٩.

(٤) البرهان في علوم القرآن (الزركشي) ١٣١/١.

(٥) ينظر: النسق ودوره في اللسانيات العامة (دي سوسير اموذجا).

(٦) ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم:٨٧، ١٤٢، ونظرية التصوير الفني عند سيد قطب (صلاح الخالدي):٨٨.

(٧) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٤٢٣.
(٨) المصدر السابق نفسه.
(٩) تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٢٤/١.
(١٠) لسان العرب: ٤٣٣/١١.
(١١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥/١.
(١٢) البرهان في علوم القرآن: ٤٢/١.
(١٣) النص والخطاب والإجراء (دي بوج ارند):١٠٣.
(١٤) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية:١٤١..
(١٥) الكشاف: ٩٧٠/٤.
(١٦) الاتقان في علوم القرآن: ١٣/١.
(١٧) ينظر: في أغلب التفاسير تسمى (الزلزلة)، وأورد الصاغاني في تفسير (إذا زلزلت) اسم السورة.
(١٨) السيميوطيقا والعنونة (جميل حمداوي): ٧٩.
(١٩) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٢٠) الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن:١٥٤.
(٢١) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٢٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٤/ ٥٤١.
(٢٣) مجمع البيان في تفسير القرآن:١٨٨/١. وينظر التفسير البياني للقرآن الكريم: ٧٩/١.
(٢٤) الجامع لأحكام القرآن:٣٧/٤. وينظر البحر المحيط: ٤٠٠/٣.
(٢٥) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٨٨/١. وينظر التفسير البياني للقرآن الكريم: ٧٩/١.
(٢٦) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب:٣٩٦.
(٢٧) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب (دومينيك مانغنو): ١٣١.
(٢٨) سر صناعة الإعراب: ٦/١.
(٢٩) البناء اللفظي في لزوميات المعري: ١٧.
(٣٠) ينظر: علم الأصوات اللغوية: ١٣. نقلا عن General Linguistics(par R.H. Robins:104.
(٣١) من بلاغة القرآن: ١٠٥.
(٣٢) دراسات قرآنية في جزء عمّ: ٩٩.
(٣٣) علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي:٢١٠.
(٣٤) الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول ﷺ دراسة بلاغية وأسلوبية: ٢٧.
(٣٥) ينظر: تفسير مجمع البيان: ٣٧٢/١٠.
(٣٦) أساس البلاغة: ١٢٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٢٥٧، لسان العرب: ٤٠٠/٤.

(٣٧) المصادر السابقة: ٢٣٣، ١٦١، ٢٦٤/٤.
(٣٨) ينظر: التفسير البياني: ١٠٠/١.
(٣٩) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: ١٣.
(٤٠) لسان العرب: ٧٣/٦.
(٤١) دروس في علم الأصوات العربية (جان كانتيو): ١٩٧.
(٤٢) المخصص (ابن سيده) ١٢١/٢.
(٤٣) في صوتيات العربية: ٩٠.
(٤٤) ينظر: كتاب في الأصوات اللغوية: ٤٥.
(٤٥) التفسير الكبير (البحر المحيط): ٥٠١/٨.
(٤٦) مغني اللبيب: ١٦٣/٨.
(٤٧) سورة النحل: الآية ٦٨.
(٤٨) سورة فصلت: الآية ١٢.
(٤٩) ينظر: الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول:٣٩.
(٥٠) معاني القران (لأبي زكريا الفراء): ٢٨٧/٣.
(٥١) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر: ١٦/٣.
(٥٢) ينظر الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول: ٤٣.
(٥٣) مناهج البحث في اللغة: تمام حسان ٧٤.
(٥٤) ينظر: في صوتيات العربية:١٢٤.
(٥٥) جرس الألفاظ: ٢٣٩.
(٥٦) بنظر البرهان: ١٠/٤.
(٥٧) ينظر الصاحبي: ٢٠٧.
(٥٨) التفسير البياني: ١٠١/١.
(٥٩) ينظر كتاب العين: ٥٥/٧، مجمع البحرين: ٦٤/١.
(٦٠) ينظر: شرح الدماميني على مغني اللبيب:٧٨/٢.
(٦١) الكشاف: ١/ ١٤.
(٦٢)ينظر: اللباب في علوم الكتاب:٤٥٠/٢٠.
(٦٣) ينظر: مفتاح العلوم: ٨٢، الإتقان: ٩٢/٢.
(٦٤) البديع في ضوء أساليب القرآن: ١٥٥.
(٦٥) ينظر التلخيص: ٢١٨.
(٦٦) المصدر نفسه.

(٦٧) ينظر: جواهر البلاغة:٣٢٥.
(٦٨) ينظر: جواهر البلاغة:٣٢٦
(٦٩) ينظر البديع في ضوء أساليب القرآن: ١٦٢، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢/ ٦١.
(٧٠) التكرير بين المثير والتأثير: ٢٠٧.
(٧١) النكت في إعجاز القرآن (الرماني): ٨٩.
(٧٢) مباحث في إعجاز القرآن: ١٧٠
(٧٣) البرهان: ٥٤.
(٧٤) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: ٨٧.
(٧٥) الجرس والإيقاع في تعبير القرآن: ٣٧٦.
(٧٦) من أساليب التعبير القرآني: ٣٥٦.
(٧٧) البرهان في علوم القرآن:٧٠/١. وينظر: علم اللغة العام(الأصوات): ١٣١.
(٧٨) البرهان في علوم القرآن:٧٠/١.
(٧٩) ينظر: تفسير القرآن الكريم(ابن قيم):٢٠٩، علم الأصوات اللغوية: ٥٣.
(٨٠) نظر: علم الأصوات اللغوية: ٨٨.

قائمة المصادر والمراجع

- الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول ﷺ دراسة بلاغية وأسلوبية (عدنان جاسم الجميلي)، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط١: بغداد -٢٠٠٩.
- الإتقان في علوم القرآن(جلال الدين السيوطي)، تقديم وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع،ط٤، بيروت ٢٠٠٠م.
- أساس البلاغة(لأبي القاسم محمد الزمخشري)، تح: عبد الرحيم محمود، مطبعة أولاد وارفان، ط١، القاهرة ١٩٥٣م.
- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية (جميل عبد المجيد) الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر-١٩٩٨م
- البديع في ضوء أساليب القرآن(د. عبد الفتاح لاشين)، طبع ونشر دار المعارف،ط١،القاهرة ١٩٧٩م.
- البرهان في علوم القرآن(بدر الدين الزركشي)،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل بيروت ١٩٨٨م.

- البناء اللفظي في لزوميات المعري دراسة تحليلية بلاغية(د مصطفى السعدني)، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د.ط)، (د.ت).
- تاج اللغة وصحاح العربية (أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ))، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- التخليص في علوم البلاغة(الخطيب القزويني)، ضبط وشرح: عبد الرحمن البرقوقي،ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٣٥م.
- التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب: دار الشروق للنشر ١٩٩٣.
- التفسير البياني للقرآن الكريم(د. عائشة عبد الرحمن)، دار المعارف، ط ٤،مصر ١٩٨٦م.
- تفسير القرآن الكريم (ابن قيم الجوزية ٧٥١ه) دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
- التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط (أبو حيان الأندلسي)، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية،(د.ط)، (د.ت).
- التكرير بين المثير والتأثير(د.عز الدين علي السيد)، عالم الكتب،ط٢، بيروت لبنان ١٩٨٦م.
- الجامع لأحكام القرآن(لابي عبد الله محمد الانصاري القرطبي)، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ١٩٦٥م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ).)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
- جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب(د.ماهر مهدي هلال)، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠م.
- الجرس والإيقاع في تعبير القرآن (كاصد ياسر حسين الزيدي)، جامعة الموصل، ١٩٨٧.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت١٣٦٢هـ))، ضبط: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
- خصائص التركيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني(محمد محمد أبو موسى)، مكتبة وهبة، ط٢، القاهرة ١٩٨٨م.
- دراسات قرآنية في جزء عم(د.محمود أحمد نحلة)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٨م.

- الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن (أشرف عبد البديع)، مكتبة الآداب، (د.ط)، مصر-٢٠٠٨م.
- دروس في علم الأصوات العربية(جان كانتينو)، نقله الى العربية وذيله بمعجم صوتي فرنسي عربي: صالح القرمادي، الجامعة التونسية، نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ١٩٩٦م.
- سر صناعة الإعراب، صنعة الشيخ (أبي الفتح عثمان بن جني)، تح: مصطفى السقا، محمد الزفزاف، إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،ط١، مصر ١٩٥٤م.
- السيميوطيقا والعنونة (مقال) (جميل حمداوي) مجلة عالم الفكر، العدد ٢٥ لسنة ١٩٩٧ الكويت.
- شرح الدماميني على مغني اللبيب -المزج- (بدر الدين محمد بن أبي بكر) تعليق: تقي الدين أحمد بن محمد الشمني، تحقيق محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،١٩٧١م.
- الصاحبي في فقة اللغة وسنن العرب في كلامهم (أحمد ابن فارس)، تح: د. مصطفى الشويمي، بيروت ١٩٦٤م.
- علم الأصوات اللغوية، الدكتور مناف الموسوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٧.
- علم اللغة العام (الأصوات) (كمال بشر)، دار المعارف، الطبعة السابعة.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي(د. محمود السعران)، دار المعارف، مصر ١٩٦٢م.
- الغريبين في القرآن والحديث (أبو عبيدة أحمد بن محمد الهروي (ت ٤٠١ ه)، تح: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٩٩٩.
- كتاب العين(للخليل بن أحمد الفراهيدي)،تح: مهدي المخزومي، د. إبراهيم أنيس، دار الرشيد للنشر ودار صادر للنشر ١٩٨٢م.
- كتاب في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية (د.غالب فاضل المطلبي)، دار الشؤون الثقافية، العراق- ١٩٨٤م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (جار الله الزمخشري)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - دت.
- في صوتيات العربية(د.محيي الدين رمضان)، مكتبة دار الرسالة الحديثة، عمان -١٩٧٩م.

- اللباب في علوم الكتاب (عمر بن علي بن عادل الدمشقي(ت ٧٧٥هـ) المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد، دار الكتب العلمية،ط١، بيروت- لبنان ١٩٩٨م.
- لسان العرب(لابن منظور)، دار أحياء التراث العربي،ظ١، ١٤٠٥هـ.
- مباحث في أعجاز القرآن(أحمد جمال العمري)، مكتبة الشباب، (د.ت).
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر(ضياء الدين بن الأثير)، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر،ط١، بالفجالة القاهرة ١٩٦٢م.
- مجمع البحرين (فخر الدين الطريحي)، تح: أحمد الحسيني، ط٢، الناشر: مكتب نشر الثقافة الإسلامية ١٤٠٨هـ.
- مجمع البيان في تفسير القرآن(لابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي)، دار أحياء التراث العربي، بيروت ١٣٧٩هـ.
- المخصّص (لأبي الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده الأندلسي(ت٤٥٨هـ) تح: د. عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت -١٩٧١م.
- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب (دومينيك مانغونو)، ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، د.ت.
- معاني القرآن(لابي زكريا يحيى بن زياد الفراء)، تح: أحمد يوسف نجاتي، دار السرور.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها(أحمد مطلوب)، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب (مجدي وهبة وكامل المهندس)، مكتبة لبنان ١٩٨٤.
- معجم مقاييس اللغة (أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (الإمام ابن هشام الأنصاري) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.
- مفتاح العلوم (يوسف بن محمد بن علي السكاكي) تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧.
- مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني)، تح: صفوان عدنان داوودي، نشارات ذري العربي، شريعت قم، ط٢-٤٢٣/ هـ ق.
- من أساليب التعبير القرآني (طالب الزوبعي)، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.

- مناهج البحث في اللغة (تمام حسان)، دار الثقافة، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ١٩٧٤م.
- من بلاغة القرآن (د. أحمد أحمد بدوي)، مكتبة نهضة مصر بالفجالة / ط٣، القاهرة -١٩٥٠.
- النسق ودوره في اللسانيات العامة (دي سوسير أنموذجا)، رسالة ماجستير للطالبة (ساحلي كهينة) بأشراف (بو سالمي عطاالله)، جامعة عبد الرحمن ميرة-٢٠١٦.
- النص والخطاب والإجراء (روبرت دي بوجراند) ترجمة: تمام حسام، عالم الكتب. الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب (صلاح عبد الفتاح الخالدي) دار الفاروق، الأردن، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٦.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ).)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر.